المنهج الاستدلالي الفقهي عند الشيخ الطوسي في كتابة المبسوط

م.م. محمد جبار زاجي خيون
mhmdzajy8@gmail.com
وزارة التربية/ مديرية تربية بغداد الرصافة الثالثة

الملخص

إن المنهج الاستدلالي المتبع عند الشيخ الطوسي منهجاً متميزا، يقوم على فهم دقيق، ونظر ثاقب، فهو من أهل هذا الفن وأساطينه، والطوسي قد حاز قصب السبق في زمنه في علم أصول الفقه – يشهد له كتابه المبسوط – الذي يُعد علماً تأصيليا لأصول الاستدلال وطرق الاستنباط، بالدليل على كل ما أطرحه من أفكار أو آراء بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة أو بأقوال أهل البيت (عليهم السلام) يسعى الباحث إلى بيان وجوه العناية والإبداع في موقف الطوسي من الاستدلال، كيف تمكّن من توظيف هذا المنهج الاستدلالي في مباحث أصول الفقه ودراسة القضايا الأساسية التي أعتمدها الشيخ في كتابه, ولا يتخلى الشيخ عن هذا المنهج الاستدلالي في كل باب من الأبواب التي تناول في كتابه المبسوط, وأما منهجه في الفقه يعتمد على اختيار ما يدعمه الدليل, حتى لو كان خبر الاحاد, وقد طرح الشيخ فكر مدرسة أهل البيت ومخالفيهم وقد اعتمد الشيخ الطوسي على النص اولاً ثم إذا لم يتوصل إلى شيء يذهب إلى السنة المطهرة ويثبت الدليل في المسألة وقد استدل الشخص الطوسي في بعض مساله من المذهب الشافعي والحنبلي والحنفي.

الكلمات المفتاحية: منهج، الاستدلالي، الطوسي، كتاب، مبسوط.

The jurisprudential deductive approach according to Sheikh al-Tusi in writing al-Mabsut

Name: Muhammad Jabbar Zaji Khayoun
Ministry of Education, Baghdad Directorate of Education, Rusafa III

Abstract

The deductive approach followed by Sheikh Al-Tusi is a distinct approach, based on precise understanding and penetrating insight. He is one of the masters and masters of this art, and Al-Tusi was the first in his time in the science of the principles of jurisprudence - his book Al-Mabsoot - which is considered a fundamental science of the

principles of inference and methods of deduction – attests to this. With evidence of all the ideas or opinions that I put forward in the legal texts of the Qur'an and Sunnah or in the sayings of the People of the House (peace be upon them), the researcher seeks to explain the aspects of care and creativity in Al-Tusi's position on reasoning. How was he able to employ this inferential approach in the studies of the principles of jurisprudence and the study of basic issues? Which the Sheikh adopted in his book, and the Sheikh does not abandon this deductive approach in each of the chapters that he dealt with in his book Al-Mabsoot. As for his approach to jurisprudence, it depends on choosing what is supported by the evidence, even if it is single narrations. The Sheikh presented the thought of the school of Ahl al-Bayt and those who oppose them, and he Sheikh Al-Tusi relied on the text first, then if he did not arrive at anything, he went to the pure Sunnah and established the evidence in the issue. The person Al-Tusi inferred in some of his issues from the Shafi'i, Hanbali, and Hanafi doctrine.

Keywords: method, deductive approach, al-Tusi, book, mabsoot.

المقدمة

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين , فلا شك أن أعظم العلوم والمعارف هي تلك المتعلقة بالقرآن الكريم ، فهماً , واستنباطا , وتدبرا ، فعلم الفقه على رأس العلوم وأساسها ، وغيرها تابع لها ، ومبين لمقاصدها ، ولا شك أن من أهم علومه علم الفقه ، وتدبر فيه يعتبر من افضل انواع العبادات واقربها الى الله تعالى وهناك أنواع الاستنباطات التي أنزلها الله لعباده في كتابة , ويعد منهج الفقهي عند العلماء هو مصطلح جديد، وهي عبارة عن طريقة او منهج معين يتبعه الفقيه الذي يهتم بالقران والسنة ويحاول الكشف عنها من خلال السياق والسباق للآيات الكريمة، ومن خلال تتبعها من مصادرها الاساسية , فارتأيت ان تكون هذه الدراسة تحت عنوان **(المنهج الاستدلالي الفقهي عند الشيخ الطوسي في كتابة المبسوط)** زادتني رغبة في التطلع على علوم ائمة اهل البيت عليهم السلام والتي اتسعت في جميع المقامات المعرفية , قد قسمت البحث الى مبحثين وكل مبحث تندرج تحته مجموعة من المطالب:-

المبحث الاول: المبحث الاول: مفهوم المنهج والاستدلال

المطلب الاول: تعريف المنهج والاستدلال والفقه لغة واصطلاحاً)

المطلب الثاني : الشيخ الطوسي واثارة العلمية وتسليط الضوء على كتابه المبسوط

المبحث الثاني : الادلة لتي استخدمها الشيخ الطوسي:

المطلب الاول : الاستدلال الفقهي عند الشيخ الطوسي رحمه الله

المطلب الثاني :نماذج من تطبيقات المنهج في المبسوط عند الشيخ الطوسي

واردفت هذا البحث في مجموعة من النتائج باعتمادي على المصادر التي تناولتها في بحثي هذا , وهو بحث باحث ما زال يحبو في ميادين العلم والمعرفة فما كان في هذا البحث من خير فهو من الله وما كان دون ذلك فهو من نفسي ان النفس لأمارة بالسوء , واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

المبحث الاول: مفهوم المنهج والاستدلال:

المطلب الاول: تعريف المنهج والاستدلال والفقه لغة واصطلاحاً

اولاً : المنهج في اللغة:(مَنْهَج الطَّريق)(١).

ثانياً : المنهج في اللغة:(المنهج من مادة نهج، ينهج نهجا، وهو الطريق البين الواضح، ويطلق على الطريق المستقيم، والمنهج، والمنهاج والنهج: بمعنى واحد)(٢). وفي النزيل قوله تعالى:﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾(٣).

ثالثاً: المنهج في اللغة :(والمِنهاجُ: الطريقُ الواضِحُ. واسْتَنْهَجَ الطريقُ: صَارَ نَهْجاً. وَفِي حَدِيثِ الْعَبَّاسِ لَمْ يَمُتْ رسولُ الله، صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى تَرَكَكُم عَلَى طريقٍ ناهِجةٍ أَي واضحةٍ بَيِّنَةٍ)(٤).

المنهج في الاصطلاح :

المنهج اصطلاحاً:(المنهج الطريق المنهوج أي المسلوك)(٥).

المنهج اصطلاحاً:(هو خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر ويتتبعها للوصول إلى نتيجة) (٦).

ثانياً: تعريف الاستدلال لغة واصطلاحاً :

الاستدلال في اللغة :(الدَّلِيلُ. يُقَالُ: دلِيلٌ لَضْلاضٌ أَي حاذِقٌ، ولَضْلَضَتُه: التِفاتُه يَمِينًا وَشِمَالًا وتحَفُّظُه؛ وأَنشد)(٧).

الاستدلال في الاصطلاح :(عريف الدّليل العقلي بأنّه حكم عقليّ يتوصّل به إلى حكم شرعيّ ثم قسّموه إلى المستقلّ وغير المستقلّ وإلى القطعي والظّني وإلى الواقعي والظّاهري)(٨).

ثالثاً: تعريف الفقه لغة واصطلاحاً

الفقه لغة :(اسم مصدر الفعل (فَقِهَ)، وأصله في اللغة: العلم بالشيء والفهم له وهو اسم خاص بعلم معرفة الأحكام الشرعية في الإسلام)(٩).

الفقه في الاصطلاح:(هو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، فهو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية المتعلقة بأفعال العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم الأسرية وجناياتهم والعلاقات بين المسلمين)(١٠).

المطلب الثاني: الشيخ الطوسي واثارة العلمية وتسليط الضوء على كتابه المبسوط:

الشيخ الطوسي :(هو المفسر ، المحدث ، الفقيه ، الأصولي ، المتكلم ، الرجالي في القرن الخامس الهجري ، الشيخ أبو جعفر ، محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي المعروف بشيخ الطائفة ، (ولد في شهر رمضان عام ٣٨٥ هـ)- أي بعد أربع سنوات من وفاة الشيخ الصدوق المتوفى عام ٣٨١ هـ – في طوس (ظاهرا) وفي (سنة ٤٠٨ هـ) بعد مضي ٢٣ عاما من عمره الشريف ، ورد بغداد ، العاصمة العلمية للإسلام ، ومركز الخلافة آنذاك . وباشر لدى وروده جهوده العملية وتتلمذ على مشايخها العظام فلازم الفقيه المتكلم المعروف بالشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان المشهور بـ " ابن المعلم " مدة خمس سنوات ، آخذا منه حتى وفاته (عام ٤١٣ هـ)، فنونا مختلفة من العلم . وبعد وفاة الشيخ المفيد أصبح يعد من أبرز طلاب السيد المرتضى ، علم الهدى ، فلقد أولاه عناية خاصة وقرر له مبلغ ١٢ دينارا شهريا . وبقي ملازما له حتى عام وفاة السيد الأستاذ سنة ٤٣٦ هـ ، فأمضى معه(٢٣) عاما في تحصيل العلم والأدب حتى نبغ ، وصار بعد وفاة أستاذه زعيم الشيعة وتحمل مسؤولياته القيادية الجسام . وبقي في بغداد بعد وفاة أستاذه حتى (عام ٤٤٨ أي مدة ١٢ سنة). وبعد ذلك وعلى أثر حدوث الاختلافات الشديدة السنة والشيعة ، وتبدل الأوضاع السياسية ، وانتقال الحكم من آل بويه الذين كانوا شيعة إلى السلاجقة السنيين ، انتقل إلى النجف الأشرف . وهكذا أمضى الشيخ الطوسي(٤٠ عاما – من ٤٠٨ هـ إلى ٤٤٨ – في بغداد)، كان القسط الأكبر منها في مجال تحصيل العلوم ، والباقي لزعامته وتدريسه . وقد كان في نفس الوقت مشغولا بالتأليف بالإضافة إلى الدرس والتدريس ولقد تابع جهده العلمي في مدينة النجف الصغيرة التي تبعد عن الكوفة فرسخا واحدا)(١١), ويذكر:(وفي تاريخ ٢٢ المحرم عام ٤٦٠ هـ) وبعد انقضاء (٧٥ سنة) من عمر ملئ بالمشاغل العلمية وتربية مئات العلماء وتأسيس وتقوية أقدم الحوزات العلمية للشيعة الأمامية، وبعد تأليف وتصنيف حوالي (٥٠) كتابا ورسالة في مختلف الفنون ، أنهى الشيخ الطوسي حياته العلمية ، ودفن في منزله الخاص الواقع شمالي البقعة المطهرة العلوية ، والذي تحول فيما بعد إلى مسجد بناء على وصية منه رضي الله عنه . ويعرف حاليا بمسجد الشيخ الطوسي وبذلك كانت مدة إقامته في النجف الأشرف ١٢ سنة – أي من (٤٤٨ إلى

٤٦٠هـ).كان هذا عرضا سريعا لحياة الشيخ الطوسي وأما التفصيل فكالتالي : لقد مر معنا أن حياة الشيخ الطوسي تتلخص بحسب محال إقامته في ثلاث مراحل :

١ – الفترة الواقعة من ولادته إلى هجرته إلى بغداد (من ٣٨٥ إلى ٤٠٨ هـ)

٢ – الفترة الواقعة من إقامته في بغداد إلى هجرته إلى النجف (من ٤٠٨ إلى ٤٤٨ هـ)

٣ – فترة إقامته في النجف حتى وفاته (من ٤٤٨ إلى ٤٦٠ هـ)(١٢).

اولاً: تقسيم مؤلفات: الشيخ الطوسي من حيث تنوع موضوعاتها إلى العلوم الاسلامية التالية :

١ – التفسير وعلوم القران ، وله فيه : أ : التبيان ب : المسائل الرجبية . ج : المسائل الدمشقية .

٢ – الحديث ، وله فيه : أ : تهذيب الأحكام .ب: الاستبصار فيما اختلف من الاخبار(١٣).

شيوخ الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه: تتلمذ الشيخ الطوسي خلال فترة عام(٤٠٨ هـ ولغاية ٤٣٦ هـ) على جماعة آخرين من الأعلام – فضلاً عن المشايخ الثلاثة الذين سبق وإن تحدثنا عنهم – ونكتفي بذكر أسمائهم لورود تفاصيل حياتهم في أكثر المصادر التي تحدثت عن حياة الشيخ الطوسي وهم : (أحمد بن إبراهيم القزويني أحمد بن حسين بن علي الحضرميّ ، البيّع المعروف بابن السُكري (٣٦٢ – ٤٥٠ هـ) أحمد بن عبد الواحد بن عبدون البرّاز (٤٣٢هـ أحمد بن محمد بن الصَّلت الأهوازي (٣٢٤ – ٤٠٩ هـ) أبو الحسين جعفر بن حسين بن حَسكة القميّ أبو علي حسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان البرّاز الأشعري ، الحنفي ، المتكلم (٣٣٩ – ٤٢٦ هـ) الشريف أبو محمد حسن بن أحمد العلوي (كان حياً سنة ٤٢٥ هـ) أبو على حسن بن محمد بن إسماعيل بن أشناس البزّاز المعروف بابن أشناس وابن الحمّامي ٣٥٩هـ)(١٤), ونقصد هنا:(هذه الكوكبة اللامعة من الأعلام الذين قلّ نظيرهم كانوا مشايخ الطوسي وبينهم الشيعي والسُني ، فاستفادَ الطوسي من السُني كما تعلم من الشيعي ، والمتتبع لتراث الشيخ الطوسي يلاحظ أثر هذا التنوع من المعارف المُتلقاة حيث استوعب معارف الطائفتين فأبرزها بجدارة فائقة في إطار جديد . وأيضا يُظهر لنا تتبع تراجم هؤلاء المشايخ)(١٥).

ثانياً: تلاميذَ الشيخِ الطوسي :(آدم بن يونس بن أبي المهاجر النَسَفي .أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري (ت ٤٨٠ هـ) إسحاق بن محمد بن بابويه القُميّ إسماعيل بن محمد بن الحسن بن بابويه القميّ (ت ٥٠٠ هـ) بركة بن محمد بن بركة الأسدي تقي بن نجم الحلبي المكنّى بأبي الصلاح الحلبيّ (ت ٤٤٧ هـ) جعفر بن علي بن جعفر الحسيني الحسن بن عبد العزيز بن الجبهاني الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي (توفي حدود سنة ٥١٥ هـ – ٥١١ هـ) السيد ذو الفقار بن محمد بن معبد الحسيني المروزي)(١٦) , وهنالك الكثير من المؤلفات الشيخ الطوسي

لكن سوف اقتصر على البعض منها الفقهية في علم الفقه والفقه المقارن ، وله فيه :(:أ : النهاية .ب : المبسوط في الفقه .ج : الايجاز في الفرائض . د . الجمل والعقود .هـ : المسائل الجنبلائية .و : المسائل الحائرية .ز : المسائل الحلبية .ح : مسألة في تحريم الفقاع .ط : الخلاف(١٧).

ثالثاً: التعريف بالكتاب المبسوط للسيخ الطوسي :-

المبسوط: يعتبر كتاب المبسوط هو أكبر جامع ديني تدور عليه رحى الاجتهاد ، ويمتاز عما سواه برصانة البيان وغزارة العلم ، واستيفاء الفروع التي ترتبط بكل مسألة .طبع لأول مرة على الحجر سنة ١٢٧٠هـ ولكن نفدت تلكم النسخ مع كثرة من يرغب في اقتنائها . لا زال الحق في ضيق مما يمكر أهل الباطل ، ولكن الحق أبى إلا أن يعلو من الصدر الأول للإسلام إلى اليوم رغما لما رأوا من ضيق أهل الباطل كافحوا بلا ملل ولا كلل عن حريم الحق ومباديه ، والذب عن الدين السلامي ، وكم كالوا لنواميس عقائدهم ودافعوا عن شرف النحلة وكيان الملة ، واهتدى بفضل جهودهم الكثيرون ممن ضلوا الطريق وأضلوا ونحمد الله سبحانه وتعالى على نعمة السلام والتمسك بعلمائنا البرار الذين هم اعماد الدين .

ويقول الشيخ محمد الكشفي في المبسوط :(موسوعة علمية كبرى حافلة بالتحليل الدقيق والتحقيقات الثمينة في فقه الأمامية ، ويصلح هذا السفر القيم أن يكون مقصدا لأرباب الأفكار السامية وأعلام الفقهاء فيستطيع كل واحد أن يجد ضالته المنشودة ويستفيد من ثمرته الشهية ويلقى الباحث فيه أمنيته على نحو ما يجد المسافر الظامئ في البحر ما ينتفع غلته)(١٨).

الكتاب المبسوط في ثمان مجلدات يتناول إجماعات فقهاء االشيعة الإمامية على المسائل الفقهية من القرن الرابع حتى القرن الثامن الهجري.

المبحث الثاني : منهج الشيخ الطوسي في المبسوط والطرق الاستدلال:

المطلب الاول : الاستدلال الفقهي عند الشيخ الطوسي رحمه الله

ذكر الشيخ الطوسي في كتابة المبسوط :(منهجية في ما يمكن تلخيصه من الألفاظ واقتصرت على مجرد الفقه دون الأدعية والآداب ، وأعقد فيه الأبواب ، وقسم فيه المسائل ، وأجمع بين النظاير ، وأستوفيه غاية الاستيفاء ، وأذكر أكثر الفروع التي ذكرها المخالفون اراء اهل البيت، ، وإذا كانت المسألة أو الفرع مما فيه أقوال العلماء ذكرتها وبينت عللها والصحيح منها والأقوى ، وأنبه على جهة دليلها لا على وجه القياس وإذا شبهت شيئا بشئ فعلى جهة المثال لا على وجه حمل إحديهما على الأخرى أو على وجه الحكاية عن المخالفين دون الاعتبار الصحيح ، ولا أذكر أسماء المخالفين في المسألة لئلا يطول به الكتاب ، وقد ذكرت ذلك في مسائل الخلاف مستوفا ، وإن كانت المسألة لا ترجيح فيها للأقوال وتكون متكافية وقفت فيها ويكون المسألة من باب التخيير ، وهذا الكتاب إذا سهل الله تعالى إتمامه يكون كتابا لا

نظير له لا في كتب أصحابنا ولا في كتب المخالفين اهل البيت في اراءهم لأني إلى الآن ما عرفت لأحد من الفقهاء كتاب واحدا يشتمل على الأصول والفروع مستوفا مذهبنا بل كتبهم وإن كانت كثيرة فليس تشتمل عليهما كتاب واحد ، وأما أصحابنا فليس لهم في هذا المعنى ما يشار إليه بل لهم مختصرات)(١٩).

ولعل ابرز ما تطرق الية الشيخ الطوسي في مقدمة كتابة المبسوط هو ذكر اراء اهل البيت والرد على من خالفهم في اراء وثبت الدليل من الكتاب والسنة وكذلك استدل في الدليل العقلي وسوف نذكر ما ذكر ما جاء في كتابة .

المطلب الثاني : منهجية الطوسي في كتابة المبسوط وكيفيه تقسيمة الكتاب

يحتوي كتاب (**المبسوط**) على ثمانية اجزاء ، ويتضمن كلّ باب على فصول عديدة تقلّ ويكثر تعدادها حسب سعة أبحاث الباب وقلته . وقد تحدث المصنف في الباب الأول وشرع بكتاب الطهارة واقسامها ، وينهي الكتابة الى كتاب الحدود وعن أمور أخرى خارجة عن موضوع ولكنها مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً ، كما حاول تحديد بعض الامور ،.ثمّ تكلم وحَدّه وأقسامه,، وفي هذه الأبواب ومن خلال فصوله وأبحاثه يبدو لنا شيخ الطائفة بحّاثاً قديرا ، وأصوليا ماهرا ، وعالما نحريرا ، عارفا بأساليب الأصوليين والفقهاء وأدلتهم وطرق مناقشاتهم ، فالطوسي في بداية كل فصل يطرح اراء من الشيعة وأهل السُنة ، وآراء أرباب المذاهب ، فهو أمين في طرحه لآرائهم ويحاول أن ينقله كما طرحه صاحبه دون أن ينقص منه شيئا أو يزيد عليه ، ثم يبدأ بمناقشة الأدلة الواحدة تلو الأخرى ويحاول أن يدعم رأيه ومذهبه بالكتاب والسُنة والاجماع وأدلة العقل . وأخيرا وبعد أن يرد قول الخصم يبرز رأيه المختار . والمصنف خلال أبحاث الكتاب يتعرض لآراء مجموعة من فقهاء أهل السُنة وأئمة مذاهبهم أمثال : أبي حنيفة ، الشافعي ، داود بن علي الظاهري ، مالك بن أنس ، أبو الحسن الكرخي ، محمد بن الحسن الشيباني وغيره)(٢٠).

المطلب الثالث : تقسيم كتاب المبسوط من خلال الابواب

اولاً: فصل في ذكر حقيقة الطهارة وجهة وجوبها وكيفية أقسامها: المياه وأحكامها الماء على ضربين أغسال على ضربين : مفروض ومسنون. كتاب الضحايا والعتيقة .

ثانياً: كتاب الجهاد وسيرة الإمام يقسم كتاب الجهاد الى اجزاء منها :

في فرض الجهاد ومن يجب عليه , : الأعذار التي يسقط معها فرض الجهاد

فصل : أصناف الكفار: وكيفية قتالهم : الكفار على ثلاثة أضرب : أهل كتاب ، وهم اليهود والنصارى فهؤلاء يجوز إقرارهم.

ثالثاً: كتاب الاقرار: إقرار الحر البالغ الثابت العقل غير المولى عليه جايز على نفسه للكتاب والسنة:-

الاقرار على ضربين : مكلفون وغير مكلفين : الاقرار بالعجمية يصح كما يصح بالعربية : الاقرار بالنسب لا يخلو من أحد أمرين إما أن يكون المقر بالنسب مقرا على نفسه بالنسب أو غيره .

رابعاً : كتاب الوصايا :

لوصية على ثلاثة أضرب: منهم من لا تصح له الوصية بحال ، ومنهم من تصح له الوصية , ومنهم من هو مختلف فيه : هل تصح الوصية للوارث ام لا : فيما إذا أوصى أن يحج عنه شخص بمائة درهم من ثلث

خامساً : كتاب الطلاق :

الطلاق على أربعة أضرب : واجب ومحظور ومندوب ومكروه : في طلاق المدخول به : فإن قال إذا حضت حيضة فأنت طالق : فيما يقع به الطلاق وما لا يقع

سادساً: كتاب النفقات :

في أن الأبوين أحق بالولد : في النفقة على الأقارب : في نفقة المماليك : في نفقة الدواب: اختلاف الناس في نفقة الزوجة متى يجب : فيمن يعتق على من يملكه

سابعاً : كتاب الجراح : في تحريم القتل ومن يجب عليه القصاص ومن لا يجب عليه : دية العبد إذا قتل : في صفة قتل العمد وجراح العمد : إذا ارتد بعد أن جرح ثم عاد إلى الاسلام فمات : دية الإفضاء : دية الكفار دية اليهودي والنصراني.

ثامناً : كتاب الحدود :

حد الثيب ، وحد البكر : والأحكام التي يتعلق بالوطيء : إذا زنا العبد بالأمة : في حد القذف : قطع اليد والرجل في السرقة : في الضمان على البهائم : في كتاب قاض إلى قاض : في التحفظ في الشهادة : في الدعوى في الميراث .

إذ يرى الباحث ان هذه التقسيمات التي اعتمد عليها الشيخ الطوسي في كتابه المبسوط وقد اطلعت عليها وسوف اذكر منهجه بالتفصيل .هذه ليس الابواب كلها بل اقتصرت على نبذه مختصرة منها (٢١).

المطلب الرابع : خطوات منهج الشيخ الطوسي

يسير البحث الشيخ الطوسي في كتابة المبسوط بالموضوعات والمسائل الفقهية بطريقة منظمة وفق الخطوات الاتية :

اولاً :استقراء آيات القرآن الحكيم وعرض ما ورد فيها من مواضيع فقهية او مسائل او مشاكل ويتوصل عليها الى حلول مثلا يأخذ الوضوء او التيمم ونعطي مثالاً على ذلك في القران :﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ**﴾(٢٢), قد قسم الوضوء وما هيه كيفياته يجب أن يكون الوضوء بقصد

القربة الى الله تعالى وامتثال امره لا بقصد آخر تغسل وجهك من منبت الشّعر أعلى الجبهة الى الذّقن.

ثانياً : استقراء السنة المطهرة والاثار على الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) تحتل السنة المطهر والقران الكريم عن الشيخ الطوسي (رضوان الله تعالى عليه) في كتابة المبسوط المرتبة الثانية بعد القران الكريم حيث استدل بها على الكثير على الكثير من المسائل فجعل السنة النبوية بعد القران .

ثالثاً : الاعتماد على اللغة العربية في فهم النص :-

اللغة العربية الشأن الاول والاهم في فهم النصوص الشرعية والاستنباط الاحكام منها من الكتاب والسنة على فهم النصوص من خلال اللغة العربية اعتمد اعتماد كلياً لان الله قد خاطب البشرية بلسان عربي مبين اي واضح .

رابعاً : استدل الشيخ الطوسي بالدليل العقلي :-

ان النصوص الكتاب والسنة لا يمكن فهمها الا عن طريق العقل والنقل ولذلك قد اعتمد الشيخ الطوسي تحليلاً عقلياً في بعض النصوص .

خامساً: لم يأخذ الشيخ الطوسي في مسالة القياس(٢٢).

المطلب الخامس: نماذج من تطبيقات المنهج في المبسوط عند الشيخ الطوسي

اولاً: يستعرض الشيخ الطوسي الاحاديث الواردة عن الرسول وائمة اهل البيت (عليهم السلام) والصحابة رضوان الله تعالى عليهم ويدرسها دراسة صحيحة ويستخرج منها الصحيح والحسن والضعيف والمقبول والمردود.

ثانياً: يقدم الشيخ التحليلات والتفسيرات للمسائل التي اعتمد عليها والتي لم يعتمد عليها من خلال منهجه واجتهاده الشخصي فيها ويقارنها مع بعض المذاهب الاخرى.

ثالثاً : في مرحلة الاستنباط يرجح الأقوال ويقوم بتأويل البعض من المسائل ويعتمد الشيخ الطوسي على الكثير من شيوخه في بعض المسائل السيد المرتضى والشيخ الطوسي والشيخ المفيد ، قالوا : (إنّ النص تارة يكون نصّاً جليّاً ، وتارة يكون نصّاً خفيّاً ، والمنكر للنّص الجلي يخرج عن ظاهر الإسلام ، أمّا المنكر للنصّ الخفي ، فلا يخرج عن ظاهر الإسلام ; لأنّه ربما يعذر لعدم فهمه للنصّ الخفي ، وقد يكون النصّ خفياً ومع ذلك يحمل في طيّاته دليلا يقينياً)(٢٣).

رابعا : قد وافق الشيخ الطوسي الكثير من المذاهب وقد اخذ من الامام ابي حنيفة والشافعي ومالك وغيرهم .

خامساً: ان الشيخ الطوسي : ينقل في كتابه هذا والنهاية لشيخ الطائفة وكتاب المراسم لسلار الديلمي ، والغنية لابن زهرة ، وكثيرا ما ينقل آراء السيد المرتضى وابن البراج الطرابلسي وغيرهم(٢٤).

المطلب السادس : مقارنة بين كتاب المبسوط للشيخ الطوسي وكتاب السرائر للشيخ الحلي:

اولاً : الخلاف بين الشيخ الطوسي والحلي في مسائل منها :(ان " كتاب السرائر " يبرز العناصر الأصولية في البحث الفقهي وعلاقتها به بصورة أوسع مما يقوم به كتاب " المبسوط " بهذا الصدد ، فعلى سبيل المثال نذكر : أن ابن إدريس أبرز في استنباطه لأحكام المياه ثلاث قواعد أصولية وربط بحثه الفقهي بها ، بينما لا نجد شيئا منها في أحكام المياه من كتاب " المبسوط وإن كانت هي بصيغتها النظرية العامة موجودة في كتب الأصول قبل ابن إدريس)(٢٥).

ثانياً:(ان الاستدلال الفقهي لدى ابن إدريس أوسع منه عما في كتاب" المبسوط " وهو يشتمل في النقاط التي يختلف فيها مع الشيخ على توسع في الاحتجاج وتجميع الشواهد ، حتى أن المسألة التي لا يزيد بحثها في " المبسوط " على سطر واحد قد تبلغ في " السرائر " صفحة مثلا ، ومن هذا القبيل : مسألة طهارة الماء المتنجس إذا تمم كرا بماء متنجس أيضا ، فقد حكم الشيخ في " المبسوط " ببقاء الماء على النجاسة ولم يزد على جملة واحدة في توضيح وجهة نظره ، وأما ابن إدريس فقد اختار طهارة الماء في هذه الحالة ، وتوسع في بحث المسألة ، ثم ختمه قائلا : " ولنا في هذه المسألة منفردة نحو من عشر ورقات قد بلغنا فيها أقصى الغايات ، وحججنا القول فيها والأسئلة والأدلة والشواهد من الآيات والأخبار)(٢٦).

ونلاحظ في النقاط التي يختلف فيها ابن إدريس مع الشيخ الطوسي اهتماما كبيرا منه باستعراض الحجج التي يمكن أن تدعم وجهة نظر الطوسي وتفنيدها , ويعتبر هو اول من رد على الشيخ الطوسي بعد وفاته.

المطلب السابع : العمل بالخبر الاحاد الموثق عند الشيخ الطوسي في كتابة المبسوط:

كانت ظروف الشيعة في زمان الشيخ الطوسي قاسية، حيث كان الشيعة يتعرّضون لهجوم المخالفين دائماً، وكان بين علماء الشيعة اختلاف كبير في آرائهم وفتاواهم، وقد صنّف الشيخ كتاب (التهذيب) الذي نَقَدَ به طريقة أساتذته، كما قَبِلَ الأحاديث التي ردّها أُستاذه السيد المرتضى، حيث التزم الاعتدال في التعامل مع الروايات كان العلماء قبل الشيخ الطوسي يعتبرون أحد معايير قبول الرواية هو إيمان الراوي وعدالته، والعدالة تعني أن يكون الراوي مجتنباً الفسق والفجو أمّا الشيخ :(فقد غيّر هذا المعيار، وعمل بسيرة العقلاء، والتي يقبل على أساسها رواية الفاسق إذا كان صادقاً وقد بيّنَ في كتابه (عدة الأُصول) أنه إذا ارتكب أحدٌ محرّماً فيبعض أعماله، أو فَسَقَ في بعض جوارحه، لكنّه في الرواية ثقةٌ وصادق، فإنّ فِسقَه وخَطأه لا

يسبب ردّ روايته، والعمل جائز بروايته؛ لأنّ العدالة المطلوبة في الرواية حاصلة، واعلم أنّ الفسق يمنع من أداء الشهادة للفرد، ولا يمنع من روايته وكذلك القول فيما ترويه المتهمون والمضعفون . وان كان هناك ما يعضد روايتهم ويدل على صحتها وجب العمل به)(٢٧).

واما بالنسبة للأخبار المرسلة فان الشيخ الطوسي يقول بحجية بعض الرواة حتى لو جاءت مرسلة مثل ابي عمير وصفوان وغيرهم وقد اعتمد هذه الروايات في كتابة المبسوط . اما بعض الفقهاء لم يقبلوا هذا الراي وقالو ان هذا الراي خاص بالطوسي فقط وقد ذكر السيد الخوئي في كتابة المعجم رجال الحديث :(كيف تصح هذه الدعوى ؟ وقد عرفت أن صفوان ، وابن أبي عمير والبزنطي وأضرابهم قد رووا الإمام عنده علم تأويل الكتاب عن الضعفاء ، فما ظنك بغيرهم(٢٨).

وقد أكثر الشيخ الطوسي من التأليف في هذه الفترة ، حيث كتب **المبسوط** :(في الفقه ، وهومن أهمّ الكتب الفقهية ، اذ اشتمل على ثمانين كتاباً ، فيه فروع الفقه كلّها ، ويعتبر كتاب المبسوط تحولاً كبيراً في هذا المجال ، يشبه التحوّل الذي أحدثه كتاب **العدّة** في مجال الأُصول، حيث كان الشيخ قد بلغ قمة النضوج الفكرى ، فكان مجتهداً في آرائه التي طرحها في كتابه الجديد ، ومن ذلك استدلاله بالأدلّة العقلية والبراهين القطعية وتجدد الرأي في المجتهدين ، وبذلك يكون الشيخ الطوسي قد قفزةً كبيرةً في هذا المضمار)(٢٩), ، (بعد أن كان كتابه **النهاية** لايعدو كونه محاولة لتجميع الروايات الفقهية ، هي التي دفعت الشيخ الطوسي لكتابه هذا الكتاب :(حيث كانت المناضرة والجدل والحوار سمةً من سِماتِ الحركةِ العلميّة في بغداد آنذاك ، وبذلك فإنّ كتابَ الخلافَ قد تضمّن الكثير من آراء المذاهبِ الإسلاميّة إضافةً إلى ما اجتمعت عليه الفرقةُ . الإماميّة . من مسائل الدينِ وفي **مسائل الخلاف** مع الكلّ في الفقه تألّق نجم الشيخ الطوسي في دنيا الاجتهاد ، حيث كان يناقش الآراء ، وينتقدها **مستنداً** إلى الأدلّة العلميّة ، وقد بين ذلك في مقدمة كتابه إذ يقول : وذكر مذهب كلّ مخالفٍ على التعيين وبيان الصحيح منه وما ينبغي أن يعتقد ، وأن أقرن كلّ مسألةٍ بدليلٍ نحتج به على من خالفنا موجب للعلم من ظاهر قرآن أو سنةٍ مقطوعٍ بها أو اجماع أو دليل خطابٍ أو استصحاب حالٍ . على ما يذهب إليه كثيرٌ من أصحابنا . أودلالة أصلٍ أو محتوى خطابٍ)(٣٠).

ويظهر من خلال النقلة التي أوجدها كتاب المبسوط أنّ شيخنا الطوسي كان صاحب مدرسة فقهية استطاعت أنّ تسهم في دفع الفقه الإمامي إلى الأمام وتطويره ، حيث العمق والأصالة والاتّساع ، ويعتبر كتاب المبسوط آخر كتب الفقه التي ألفّها الشيخ الطوسي .

الخاتمة وفيها اهم النتائج

المصادر والمراجع اعتمدت على اهم كتب الفقه عند الشيعة الامامية وكذلك كتب اهل السنة وجماعة .

ان بحثي هذا هو بحث طالب ما زال يحبو في ميادين العلم والمعرفة باحثاً عن الحقيقة ولا شك انه تتضمن فيه مضامينه مجموعة من الاخطاء وهذا امر بديهي لأني مبتدأ في كتابة البحوث اسأل الله سبحانه وتعالى ان يغفر لي زلة قلمي انه غفور رحيم .

ويرى الباحث من خلال استنتاجه للبحث ان الشخص الطوسي رضوان الله تعالى عليه كان يأخذ بالخبر الاحاد والمتواتر وغيرها من اهل الحديث وقد فصل الكتاب تفصيلا على شكل ابواب وفصول ومسائل وقد طرح الفكر مدرسة اهل البيت ومخالفيهم ويعتبر هو اول من صنف وكتب على هذا الشكل ولم يسبقه احد ممن قبل وكان يمتاز اسلوب الشيخ بالتوسط في الطرح ولا يمتاز الصعوبة مما ادري الى حفظة في الصدور ورغبة الناس في قرأته وقد طبع هذا الكتاب لمرات عديده وقد حقق من قبل اعلام العلماء وقد اعتمد الشيخ الطوسي على النص اولاً ثم اذا لم يتوصل الى شيء يذهب الى السنة المطهرة ويثبت الدليل في المسألة وقد استدل الشخص الطوسي في بعض مساله من المذهب الشافعي والحنبلي والحنفي.

الهوامش:-

القران الكريم:-

١- معجم مقاييس اللغة , أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى: ٣٩٥هـ): تحقيق .عبد السلام محمد هارون الناشر : دار الفكر الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ج٥/ص٢٦٠.

٢- الوسطية في القرآن الكريم: الدكتور علي محمد الصلابي الناشر : دار المعرفة . بيروت – لبنان ,ج/٢ ص٥ .

٣- سورة المائدة :اية : ٤٨.

٤- لسان العرب , محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ , ج٢/ص٣٨٣

٥- التوقيف على مهمات التعاريف ,: محمد عبد الرؤوف المناوي , الناشر: دار الفكر المعاصر , دار الفكر – بيروت , دمشق ,الطبعة الأولى، ١٤١٠ ,تحقيق: د. محمد رضوان الداية, ٦٨١.

٦- أصول البحث , الدكتور عبد الهادي الفضلي ,الناشر : مؤسسة دار الكتاب الإسلامي – قم – ايران , ص٤٩.

٧- لسان العرب : ج٤/ ص٥٢٣ .

٨- حر الفوائد في شرح الفرائد : ميرزا محمد حسن الآشتياني , الوفاة : ١٣١٩ , المجموعة : فقه الشيعة من القرن الثامن , ج٣/ص٣.

٩- لكتاب: البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ج١/ ص١٣٩.

١٠- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية , المؤلف: د محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون – جامعة الأزهر , الناشر: دار الفضيلة ج٢/ ص٥٣٥,

١١- ينظر: الرسائل العشر: الشيخ الطوسي ,(الوفاة : ٤٦٠هـ) , الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ص ٥- ٨.

١٢- الرسائل العشر : ص٨.

١٣- الأمالي , : الشيخ الطوسي , الوفاة : ٤٦٠ , تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة , الطبعة : الأولى , سنة الطبع : ١٤١٤: , الناشر : دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – قم , ص١٨ .

١٤- العدة في أصول الفقه (عدة الأصول) (ط. ج) : الشيخ الطوسي و الوفاة : ٤٦٠ , تحقيق : محمد رضا الأنصاري القمي , الطبعة : الأولى , سنة الطبع : ذو الحجة ١٤١٧ هـ – ١٣٧٦ ش , المطبعة : ستاره – قم , ج١/ص٢٠.

١٥- المصدر السابق ج١/ص٢١.

١٦- المصدر السابق ج١/ص٤٥.

١٧- الامالي : ص ١٩.

١٨- المبسوط , الشيخ الطوسي ,الوفاة : ٤٦٠ , تحقيق : تصحيح وتعليق : السيد محمد تقي الكشفي , سنة الطبع : ١٣٨٧ ,المطبعة : المطبعة الحيدرية – طهران , الناشر : المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية ,ج١/ص٦.

١٩- المصدر السابق: ج١/ص٣.

٢٠- قام الباحث استقراء الكتاب واتبع المنهجية الشيخ الطوسي واتضح ما مذكور في المتن.

٢١- الاستقراء المتبع تم من قبل الباحث.

٢٢- وهذا هو المنهج المتبع عند المذهب الامامي.

٢٣- بحوث معاصرة في الساحة الدولية , المؤلف : الشيخ محمد السند , الوفاة : معاصر , الطبعة : الأولى , سنة الطبع : ١٤٢٨ هـ , لمطبعة : ستارة الناشر : مركز الأبحاث العقائدية, ص٣٦٣

٢٤- إصباح الشيعة بمصباح الشريعة : قطب الدين البيهقي الكيدري ,(الوفاة : ق ٦), تحقيق : الشيخ إبراهيم البهادري , الطبعة : الأولى , سنة الطبع : محرم الحرام ١٤١٦هـ , المطبعة اعتماد – قم , الناشر : مؤسسة الإمام الصادق (ع) ,ص١٦ .

٢٥- السرائر , ابن إدريس الحلي ,(الوفاة : ٥٩٨ هـ) تحقيق : لجنة التحقيق , الطبعة : الثانية , سنة الطبع : ١٤١٠ , المطبعة : مطبعة مؤسسة النشر الإسلامى , الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ,ج١/ ص٢١ .

٢٦- المصدر السابق , ج١/ ص٢٢.

٢٧- العدة في أصول الفقه (عدة الأصول) (ط.ق) ,الشيخ الطوسي , (الوفاة : ٤٦٠هـ) , تحقيق : محمد مهدي نجف , المطبعة : مؤسسة آل البيت (ع) للطباعة والنشر , الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) للطباعة والنشر , ج١/ ص٣٨٢.

٢٨- معجم رجال الحديث , السيد الخوئي , (الوفاة : ١٤١٣هـ) , الطبعة : الخامسة , سنة الطبع : ١٤١٣ - ١٩٩٢ م , ج١/ ص٧٠.

٢٩- الشيخ الطوسي مفسراً :(الوفاه ٤٦٠هـ) , المؤلف خضير, عباس الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي ص ٤٦ .

٣٠- المصدر السابق ص ٤٧.

قائمة المصادر والمراجع

١- القران الكريم :

٢- الشيخ الطوسي مفسراً :الوفاه ٤٦٠هـ , المؤلف خضير عباس الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي .

٣-العدة في أصول الفقه (عدة الأصول) (ط.ق) ,الشيخ الطوسي , الوفاة : ٤٦٠ , تحقيق : محمد مهدي نجف , المطبعة : مؤسسة آل البيت (ع) للطباعة والنشر , الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) للطباعة والنشر .

٤- معجم رجال الحديث , السيد الخوئي , الوفاة : ١٤١٣ , الطبعة : الخامسة , سنة الطبع : ١٤١٣ - ١٩٩٢ م .

٥-السرائر , ابن إدريس الحلي ,(الوفاة : ٥٩٨ هـ) تحقيق : لجنة التحقيق , الطبعة : الثانية , سنة الطبع : ١٤١٠ , المطبعة : مطبعة مؤسسة النشر الإسلامى ,الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .

٦-بحوث معاصرة في الساحة الدولية , المؤلف : الشيخ محمد السند , الوفاة : معاصر , الطبعة : الأولى , سنة الطبع : ١٤٢٨ , لمطبعة : ستارة الناشر : مركز الأبحاث العقائدية.

٧-إصباح الشيعة بمصباح الشريعة : قطب الدين البيهقي الكيدري و الوفاة : ق ٦ , تحقيق : الشيخ إبراهيم البهادري , الطبعة : الأولى , سنة الطبع : محرم الحرام ١٤١٦ , المطبعة اعتماد – قم , الناشر : مؤسسة الإمام الصادق (ع) .

٨-المبسوط , الشيخ الطوسي , الوفاة : ٤٦٠ , تحقيق : تصحيح وتعليق : السيد محمد تقي الكشفي , سنة الطبع : ١٣٨٧ , المطبعة : المطبعة الحيدرية – طهران , الناشر : المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية.

٩- الأمالي , : الشيخ الطوسي ,(الوفاة : ٤٦٠ هـ), تحقيق, قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة , الطبعة : الأولى , سنة الطبع : ١٤١٤: , الناشر : دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – قم .

١٠-الرسائل العشر: الشيخ الطوسي , الوفاة : ٤٦٠ , الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .

١١- لسان العرب , محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

١٢-حر الفوائد في شرح الفرائد : ميرزا محمد حسن الآشتياني , الوفاة : ١٣١٩ , المجموعة : فقه الشيعة من القرن الثامن .

١٣-لكتاب: البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)

١٤-معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية , المؤلف: د محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون – جامعة الأزهر , الناشر: دار الفضيلة.

١٥-الوسطية في القرآن الكريم: الدكتور علي محمد الصلابي الناشر : دار المعرفة . بيروت – لبنان ..

١٦-التوقيف على مهمات التعاريف ,: محمد عبد الرؤوف المناوي , الناشر: دار الفكر المعاصر , دار الفكر – بيروت , دمشق ,الطبعة الأولى، ١٤١٠ ,تحقيق: د. محمد رضوان الداية,.

١٧-أصول البحث , الدكتور عبد الهادي الفضلي ,الناشر : مؤسسة دار الكتاب الإسلامي – قم – ايران , ص٤٩.